رسالة في ماهية العدل لمسكويه

الأستاذ محمد صابرخان

١ – مقدمة

الغرض من هذه المقالة المختصرة هو أن أهدي إلى العالم رسالة وجيزة لمسكويه [١] وهي عظيمة القيمة ولكن لم يلق إليها أحد باله حتى الآن . إنها تبحث عن العدل ، وقد كتبها مسكويه رداً على رسالة صديقه ومعاصره أبي حيان التوحيدي [٢] المتوفى سنة ٤١٣ هـ) .

---

(١) بروكلمان – تاريخ آداب اللغة العربية (باللغة الألمانية) المجلد الأول ص ٣٤٧ ، ٥١٠ ، ٥٢٥ . والملحق المجلد الأول ٥٨٢ وجاويدان خرد لمسكويه القاهرة سنة ١٩٥٢ ، مقدمة لعبد الرحمن بدوي ، ص ١٤ – ٢٥ . ودكتور عبد العزيز عزت ، ابن مسكويه ، فلسفته الأخلاقية ومصادرها ـ القاهرة ١٩٤٦ ١٦ – ١٤١ ، و Encyclopedia of Islam, old ed. II, 404 . وانظر دراستنا : Miskawaih : His Life and Works

(٢) بروكلمان المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٤ ـ الملحق المجلد الأول ٤٣٥ ، ٤٣٦ ؛ وسيمويل اشترن ، أبو حيان التوحيدي في Encyclopedia of Islam, New Edition) I, 126 - 27) ؛ وأبو حيان التوحيدي لعبد الرزاق محي الدين ـ القاهرة ١٩٤٩ ـ وإبراهيم الكيلاني أبو حيان التوحيدي ـ بيروت : ١٩٥٠ ؛ وأحمد أمين ، ظهر الإسلام ، القاهرة : ١٩٥٢ المجلد الثاني ؛ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٧٠ – وياقوت ، معجم الأدباء طبع مرجليوث في سلسلة تذكار جيب ، المجلد الخامس ص ٣٨١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الذين ترجموا لمسكويه من مصنفي العصر الوسيط لم يذكروا هذه الرسالة عند ذكر أسماء كتبه لأنها وجيزة جداً . وقد كثرت أسماء مؤلفاته حتى لقد قال أبو سليمان السجستاني المنطقي [١] (المتوفى سنة ٣٢٥ هـ) وهو من معاصري مسكويه (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) أيضاً : إن أسماء كتب مسكويه كثرت حتى لا يمكن لأحد أن يذكرها جميعاً [٢] ومن العجيب أن ياقوتاً لم يذكرها على الرغم من أنه اهتم بإحصاء تسعة كتب من مؤلفاته [٣] ولم يذكر أحد سواه من مصنفي الأزمنة الوسطى إلا أقل من هذا العدد . ونقول : إن سبب هذا أن ياقوتاً كان اهتمامه منصباً على الأدب والتاريخ والجغرافية ، وإعراضه عن الفلسفة مما لا يخفى ، ولأجل هذا السبب أغفل ذكر كتاب هام جداً لمسكويه عنوانه « تهذيب الأخلاق » في فلسفة الأخلاق الإسلامية . وقد كان معروفاً في عصر ياقوت ولم يزل منتشراً إلى هذه الأيام [٤] .

---

(١) أحمد أمين ، المصدر السابق ؛ عبد الوهاب قزويني ، أبو سليمان المنطقي السجستاني ؛ شالون : ١٩٣٣ ؛ بروكلمان ، المصدر السابق ص ١٥١

(٢) منتخب صيوان الحكمة – المخطوط المصور بدار الكتب المصرية وفي مكتبة ليدن – نسخة رقم ١٠٦١

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٩١

(٤) كرّادي‌فو « أخلاق » في (Encyclopedia of Isiam (old ed . ج ١ ص ٢٣١ ؛ ويلزر (Encyclopedia of Islam, (new ed. ج ١ ص ٣٢٨ ؛ عبد العزيز عزت ، المصدر السابق ص ٢٢١ وتوابعها ؛ D. M. Donaldson, Studies in Muslim Ethics , (London, 1963.) pp 121 - 133

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن العجب أن منظم فهارس المخطوطات العربية بمكتبة مشهد (إيران) والمُحْدَثين ممن ترجم لمسكويه ومنهم : بروكلمان [١] وعبد العزيز عزت [٢] وعبد الرحمن بدوي [٣] ، يذكرون هذه الرسالة في مؤلفات مسكويه [٤] باهتمام ، ولكن لم يلتفت إليها أحد من علماء العهد الحديث حتى المستشرقون وغيرهم مع أنها تبحث في مسألة هامة . ولعل سبب هذا الإعراض أن هذه الرسالة خالية من الشكل والنقط مما تعذر معه فهم مسائلها الفلسفية . ولا يخفى على أحد أن كتاباً لا يوجد منه إلا نسخة واحدة يتعسر ترتيب نصه وتصحيحه .

٢ — العنوان الصحيح للرسالة

اسمها « رسالة الشيخ أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه إلى علي بن محمد أبي حيان الصوفي في ماهية العدل » [٥] ولكن الاسم الذي ذكره بروكلمان وعبد العزيز عزت وعبد الرحمن بدوي يختلف عن هذا الاسم

---

(١) المصدر السابق الملحق المجلد الأول ص ٥٨٤

(٢) المصدر السابق ـ ص ١٣١ ، تحت « المخطوط من مؤلفات مسكويه ـ قال عزت : ولقد طلبت إلى جامعة فؤاد الأول أكثر من مرة تصوير هذين المخطوطين ، فقامت بالمراسلات اللازمة ، وفي كل مرة كانت تقوم صعوبات تحول دون تحقيق هذا الأمر ، وقول عزت « أبو حيان الصوفي » خطأ .

(٣) المصدر السابق مقدمة ص ٢٤

(٤) فهرست كتب كتابخانه آستانه مقدسة رضوية ، مشهد ج ١ ص ٤٣-٤٤ لنسخة رقم ١٣٧

(٥) المخطوط ، ورقة رقم ـ ١ ـ ألف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قليلاً (١) وهذا الاختلاف مما لا يُعْبَأ به لأنهم لم يروا نسخها ولا مصوراتها، وفهارس المخطوطات العربية بمكتبة مشهد هي باللغة الفارسية، وعنوان الرسالة قد ترجم من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية، وترجم علماء العصر الحاضر هذا الاسم من الفارسية إلى العربية وعنوان هذه الرسالة مثبت في الورقة الأولى من المصورة الموجودة عندي (٢) لهذه المخطوطة.

٣ ـ وصف المخطوطة

رقم هذه المخطوطة ١٣٢ في مكتبة آستانة المقدسة الرضوية في مشهد وهذه نسخة وحيدة في العالم تقع في ثماني أوراق من القطع الصغير خمس عشرة صفحة منها مكتوبة وورقه ٨ ب بيضاء ـ هذه المخطوطة كاملة سليمة وفي كل صفحة اثنا عشر سطراً وليس فيها رقم الصفحات، وهي مكتوبة كلها بحبر أسود، مجتمعة من غير تقسيم إلى أبواب وفصول، ولا يوجد في حواشيها ملحقات من عمل كاتبها أو مراجعها وليس فيها ما يدل على أنها قوبلت بنسخة أخرى. ونشاهد في الهامش الأيسر من الورقة ب صورة خاتم مكتبة آستانة سيدنا الإمام علي بن موسى الرضا (٣) (سمّ في طوس سنة

---

(١) يكتبون عنوان هذه الرسالة: جواب لسؤال علي بن محمد أبي حيان الصوفي في حقيقة العدل (٢) ونشكر كل الشكر الذين استعنت بهم في إنشاء هذه المقالة، وتحقيق نص الرسالة، وهم الدكتور ـ دي ـ أيم دنلب (كمبرج) والدكتور ايس ـ ايم ـ اشترن (اكسفرد) والدكتور سهيل محمد افغان (كمبرج) والدكتور محمد صغير الحسن المعصومي (إسلام آباد). وحصل لنا السيد نظير حسين جميلي والأستاذ عبد الماجد خان ـ تصوير هذه النسخة من مشهد ـ ولهم أيضاً شكراً جزيلاً.

(٢) كشّي، معرفة أخبار الرجال (القرن الرابع) فصل أصحاب موسى ابن جعفر، وعلي بن موسى بامباي: ١٣١٧؛ ويعقوبي، تاريخ، طبعة =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠٣ هـ) وكان هو إماماً ثامناً من الأئمة الاثني عشر من فرق الشيعة ، ولسبب ذلك يتعسر قراءة خمسة الأسطر التي جاء فوقها الخاتم ، وجاء لفظ « الوقف » على الحاشية في الأعلى من ورقة ٣ ب ، وكتب مرتب الفهارس أن هذه النسخة وقفها ابن خاتون في سنة ١٠٦٧ هجرية . وهي مكتوبة بخط النسخ الفارسي من غير شكل ولا إعجام ، وكاتبها ليس بماهر في فن الكتابة ولم يكن على علم باللغة العربية ولا بالاصطلاحات الفلسفية فقد ارتكب بعض الأخطاء النحوية والاملائية إذ نجده يخطىء في كتابة « الذي » و « التي » من أسماء الموصول وغيرها ، وإن القارىء ليدرك أثناء القراءة أن الكاتب كان ينسخ من غير فهم للمعنى وإن كان نسخه نفيساً ولكن أجود خطه لا يمثل نموذجاً أعلى للكتابة ، وأعني بذلك أنها غير معجمة . ولأنه لا توجد نسخة أخرى منها في مكتبات العالم فإن حل مشاكلها يبدو في غاية الصعوبة ، إن أشكال الحروف واضحة وكاملة فاللام في اختتام الكلمة مدورة ومكملة ولم تمل على رسم

= ليدن ج ٢ ص ٤٥ ، ٥٤٤ ، ٥٥١ ؛ وابن خلكان ، المصدر السابق ج ١ ص ٥٧٧ ؛ وعلى أصغر بن علي أكبر ، عقائد الشيعية (باللغة الفارسية) ومشكاة ج ٤ ص ٤٥ وما بعدها - وبروكلمان المصدر السابق الملحق ، المجلد الأول ص ٤٤ ؛ والمسعودي مروج الذهب طبعة باريس صححه دي منار ج ٧ ص ٦١ ؛ وابن بابويه ، عيون الأخبار الرضا - الباب ٥٩ وما بعده ص ١١ وتوابعها ؛ ومحمد باقر مجلسي : بحار الأنوار ج ١٢ ص ٣ وتوابعها ؛ D. M. Donaldson, The Shiite Religion, (London, 1933) . pp. 161 - 170 ؛ وعماد الدين حسين الأصفهاني زندكاني حضرت علي بن موسى رضا - طهران ١٣٣٥ شمسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمات مخطوطات عربية قديمة جداً، ولم تكتب الحركات من الفتحة والضمة والكسرة ولا التشديد ولا السكون ، ولا يوجد في الخاتمة تاريخ النسخ ولا مكانه ولا اسم الكاتب ،وخط النسخ الفارسي لا يدل – على سبيل اليقين – على تاريخ الكتابة ولا على موضعها ، وأظن أنها لم تنسخ قبل القرن السادس الهجري . وليس لهذه المسألة حل صحيح إذ لا يوجد مخطوطة خطها يماثل هذه المخطوطة .

٤ – مسكويه والتوحيدي

ترجم لمسكويه والتوحيدي عالمان من علماء العصر الحاضر هما : عبد العزيز عزت الذي ترجم لمسكويه وعبد الرزاق محيي الدين الذي ترجم للتوحيدي .

كان مسكويه مؤرخاً فيلسوفاً في القرن الرابع الهجري وكان مشهوراً من حيث كونه مؤلفاً لكتاب (تجارب الأمم) الذي يشتمل على تاريخ العالم في ستة مجلدات (١) إلى سنة ٣٦٩ هجرية ولم يطبع كل مجلداتها حتى الآن . وقد طبع كتابه تهذيب الأخلاق أكثر من مرة في الآستانة والقاهرة وغيرها(٢)

---

(١) تجارب الأمم ، ثلاث مجلدات طبع ليدن في سلسلة تذكار جيب ، The Eclipse of The Abbaside Caliphate, Text and Trans. by H. F. Amedroze and D. S. Margoliouth, 7 Vols. (Oxford, 1920 - 21) .

(٢) في الآستانة في سنة ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ هـ وفي القاهرة في سنة ١٣٠٥ – ١٣٠٧ ، ١٣١٧ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٩ هـ . وفي بيروت سنة ١٩٦٦ – وحققه قسطنطين زريق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطبع من كتبه « لغز قابس »[١] و « جاويدان خرد »[٢] و « الهوامل والشوامل »[٣] و « الفوز الأصغر »[٤] و « كتاب السعادة »[٥] ولكن أكثرها ليس في مستوى أعلى من التحقيق ، وفي بعضها كثير من الأخطاء . وله رسائل وجيزة[٦] مخطوطة لم تطبع وكان له أكثر من أربعين مؤلفاً ، وقد ضاعت عدة من مصنفاته ، ولكن من سعادتنا أن نرى هذه الرسالة في ماهية العدل بين أيدينا .

أما التوحيدي فقد كان أديباً وفيلسوفاً وفقيهاً وصوفياً ، وكان من علماء القرن الرابع الهجري ، وكان ذكياً بارعاً صاحب قلم سيال ومؤلفات كثيرة ، وكلما ازداد نشر مصنفاته ازدادت معرفتنا بقدرها وقيمتها ، وقد طبع من هذه المصنفات حتى الآن « كتاب الصداقة والصديق »[٧]

---

(١) طبع أكثر من مرة في فينة ١٨٨٢ ، مجريط ١٧٩٣ - ليدن ١٦٤٠ والجزائر ١٨٩٨ .

(٢) حققه عبد الرحمن بدوي - القاهرة : ١٩٥٣

(٣) صنفه مع أبي حيان التوحيدي ، حققه أحمد أمين وأحمد صقر ، القاهرة ١٣٧٠ - ص ٤٠٠

(٤) القاهرة ١٣٣٥ هـ

(٥) صححه شيخ علي السيوطي ، القاهرة ١٣٤٦

(٦) انظر عبد العزيز عزت المصدر السابق ص ١٢٧ وتوابعها ، تحت : « المخطوط من مؤلفات مسكويه » .

(٧) طبع في مطبعة الجوائب في الأستانة ١٣٠١ و ١٣٢٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و « كتاب الامتاع والمؤانسة »[١] و « المقابسات »[٢] و « البصائر والذخائر »[٣] و « الرسالة في علم الكتابة »[٤] و « الاشارات الإلهية »[٥] و « ثلاث رسائل مختصرة »[٦] ولكن بعض مصنفاته لم يطبع حتى الآن وقد ضاعت بعض مؤلفاته أيضاً كما هي الحال في بعض مؤلفات مسكويه .

وقبل أن أثبت أن هذه الرسالة هي من مؤلفات مسكويه بالدلائل الداخلية والخارجية لا بد لنا من أن نسأل : هل كان من الممكن أن يطرح التوحيـــدي على مسكويه سؤالاً ؟. ونقول : إنهما كانا متعاصرين وصديقين ، وكان ذوقهما متماثلاً وقد كتب التوحيدي في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » مرتين لفظ « أصحابنا »[٧] لمسكويه وقال التوحيدي : وأنا أعطيه (أي مسكويه) في هذه الأيام (صفو الشرح لايساغوجي) و « قاطيغورياس » من تصنيف صديقنا[٨] بالري . وهذا مما يظهر أن

---

(١) حققه وطبعه وشرح غريبه أحمد بك أمين وأحمد الزين ، القاهرة : ١٣٧٣ الطبعة الثانية .

(٢) صححه حسن السندوبي القاهرة ١٩٢٩ و ١٩٣٩

(٣) حققه أحمد بك أمين والسيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٥٦

(٤) صححه المستشرف روزنتـــال وطبعه في مجـــلة Ars Islamica, XIII - X IV (Michigan, I948)

(٥) حققه عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٥١

(٦) ثلاث رسائل ، صححه إبراهيم كيلاني ، وهي رسالة الإمامة ، رسالة الحياة والرسالة المذكورة في علم الكتابة ، دمشق ١٩٥١

(٧) كتاب الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٣١ و ١٣٤

(٨) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥ وهو أبو الفرج بن الطيب الجاثليق توفي =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلاً منهما كان صديقاً للآخر ومعاوناً له في القضايا العلمية ، فقد شكا التوحيدي على حسب عادته من الزمان (١) ولقد قطن العامري (٢) الري خمس سنين جمع ودرس وأملى وصنف وروى فما أخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ولا وعى مسألة حتى كأن بينه وبين مسكويه سداً ، وهذا يدل على أن التوحيدي ومسكويه كليهما كانا يسكنان في الري لعدة سنين في عصر واحد ، وكان مسكويه نديماً وخازن الكتب لابن العميد (٣) (المتوفى

= سنة ٤٣٥ . ومخطوط من شرح ايساغوجى لابن الطيب موجود في مكتبة بودلين اكسفورد ومكتبة India Office لندن ، انظر مقالة سيمويل اشترن في BSOAS لندن ج ١٩ (١٩٥٧) ص ٤١٩ وتوابعها ؛ والبيهقي ، تتمة صيوان الحكمة ، صححه محمد شفيع لاهور ١٣٥١ ص ٢٧ وتوابعها ؛ وابن القفطي ، تاريخ الحكماء وحققه المستشرق ليبرت ، ليبزج ١٩٠٣ ص ٢٢٣ ؛ وابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١٨٨٢) ج ١ ص ٢٢٩ وبروكلمان ، المصدر السابق ج ١ ص ٤٨٢ الملحق المجلد الأول ٨٨٤ ؛ عبد الرحمن بدوي ، المصدر السابق ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ؛ والشهرستاني ، كتاب الملل والنحل طبعة بولاق ١٢٦٣ ج ٢ ص ٤٩ . ومخطوطة تأليفه تفسير كتاب القاطيغورياس لارسطوطاليس في المنطق موجودة عندنا ، انظر عبد العزيز عزت ، المصدر السابق ص ٨٨

(١) كتاب الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٣٦

(٢) الهامش السابق . وانظر مقالتنا في ZDMG (الألمانية الغربية) ج ١١٢ رقم ٢ ص ٣١٣ الهامش رقم ١٠

(٣) بروكلمان المصدر السابق ـ الملحق المجلد الأول ص ١٥٣

Encyclopedia of Islam, old ed. II, 360 .

مسكويه ـ تجارب الأمم طبعة آمدروز ومرجليوث ج ٢ ص ٢٧٥ – ٢٨٢ ، خليل مردم بك ، ابن العميد ، دمشق ١٣٥٠ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة ٣٦٠ هـ) وزير ركن الدولة سلطان بني بويه في الري (المتوفى سنة ٣٦٥ هـ) وكان التوحيدي أيضاً نديماً لابن العميد وكلاهما كانا ينادمانه معاً في سنة ٣٥٨ هـ(١) وكل منها أيضاً كان يجالس ابن سعدان (قتل سنة ٣٧٥ هـ) وزير صمصام الدولة البويهي وهذه حجة قوية تؤيد ما قاله التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة (٢) ونستطيع أن نقول إن كليهما قد تلاقيا قبل ذلك في بغداد لأنهما كانا يسكنانها قبل نزولهما في الري .

وكان مسكويه قد خدم فيما بعد المهلبي (المتوفى سنة ٣٥٢ هـ) وزير معز الدولة البويهي (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) نحو اثنتي عشرة سنة من سنة ٣٤١ إلى سنة ٣٥٢ هـ . وفي سنة ٣٥٢ هـ اتهم التوحيدي بالزندقة ونفاه المهلبي من بغداد (٣) .

وقال أبو سليمان السجستاني : إن مسكويه والتوحيدي كانا يتراسلان (٤) ويثبت هذا من كتاب الهوامل والشوامل بغير شك (٥) وفيه أسئلة التوحيدي

---

(١) ياقوت ـ المصدر السابق ـ طبعة مرجليوث ج ٢ ص ٢٩٢

(٢) ج ١ ص ٣١ و ٣٤

(٣) سيمويل اشترن أبو حيان التوحيدي في Encyclopedia of Islam, new ed. I, 126 ، ومصادره : السبكي ، الصفدي ، الذهبي ، وابن حجر العسقلاني، انظر JRAS لندن ١٩٠٥ ع ص ٨٠ وتوابعها .

(٤) عبد الرحمن بدوي (مترجم) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية القاهرة ١٩٤٠ ص ٩٠

(٥) هذا كتاب عظيم القيمة من الطراز الأول . وواضح أنه يحتاج إلى دراسة خاصة ونقد داخلي ، انظر سهيل محمد افنان : ابن سينا ، حياته وآثاره (باللغة الانكليزية (لندن ١٩٥٨ ص ٥٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأجوبة مسكويه بالتفصيل وربما كان بعض هذه الأسئلة قد وجهه التوحيدي إلى مسكويه في زمان إقامتها في الري (١) .

٥ – صحة نسبة الرسالة إلى مسكويه :

ومن الدلائل الخارجية لصحة نسبة الرسالة إلى مسكويه أن اسم مسكويه ، من حيث كونه مصنفاً ، مكتوب على الصفحة الأولى ، في ابتداء النص من هذه النسخة . ولا اختلاف بين علماء العصر الحاضر في أن هذه الرسالة لمسكويه ، ومرتب فهارس مكتبة مشهد وبروكلمان وعبد العزيز عزت وعبد الرحمن بدوي قد سلموا أن هذه من مؤلفاته . وينبغي أن أقول مؤكداً إن في كتاب الهوامل والشوامل دلائل مهمة على هذه المسألة فقد كانت أسئلته تتناول موضوعات فلسفية مثلاً : الحق ، العلم ، الباطل ، الحسد، الظلم ، العداوة ، الغضب ، الجود ، الحب ، النفس ، الفراسة ، الخوف ، الجبر ، الاختيار .

وإذا كان مسكويه قد أجاب عن هذه المسائل فقد أجاب أيضاً عن سؤال التوحيدي في ماهية العدل ، ومسألة العدل من القضايا الهامة التي شغلت بال مسكويه ، من أجل ذلك كتب في هذا الموضوع رسالة مستقلة.

وآخر ما نقوله في إثبات دعوانا أن مسكويه قد ذكر هذه الرسالة في كتاب الهوامل في ثلاثة مواضع. قال مسكويه مجيباً على سؤال التوحيدي عن الظلم : « ولتحقيق ماهية القول في العدل ، وذكر أقسامه وخصائصه بسطٌ كثير لم آمن طوله عليك ، وخروجي فيه عن الشريطة التي اشترطتها في أول الرسالة من الايجاز ، ولذلك أفردت فيه رسالة ستأتيك مقترنة

(١) وجه ابن سينا إلى أبي الحسن العامري أربعة عشر سؤالاً وأجاب عليها ابن سينا ؛ ابن أبي أصيبعة المصدر السابق ج ١ ص ٢٣٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بهذه المسألة »[١]. وكتب رسالة على ما وعد هي هذه الموجودة بين أيدينا. وفوق ذلك، في آخر الهوامل، قال مسكويه في جوابه لسؤال التوحيدي عن فوائد الكيمياء ومضارها: « ولكن سنفرد له مقالة كما فعلنا ذلك في مسألة العدل »[٢] وهذا يدل على أنه قد فرغ من تأليف رسالة في العدل.

هذا آخر ما نقوله عن الدلائل الخارجية.

أما الدلائل الداخلية فهي أن موضوع هذه الرسالة، أعني العدل، هام جداً وهو من المسائل التي كانت محببة إلى مسكويه، وقد كتب مسكويه في مثل هذه المسائل مؤلفات عديدة، كما بحث في كتابه « الفوز الأصغر » عن إثبات الصانع وإثبات النفس والنبوات. وقد جمع في كتابه « جاويدان خرد » حكم الأمم الأربعة الفرس والهند والعرب والروم. وكتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق » كتاب معروف وهو يحتوي على فلسفة الأخلاق. ورسالته « لغز قابس » رسالة أخلاقية تتعلق بالفلسفة الرواقية. وقد حاول في مؤلفاته الجمع والتوفيق بين أفلاطون وأرسطو كما فعل الفارابي والافلاطونيون المحدثون[٣] ويظهر صدق قولنا هذا من ثلاثة كتب له: « جاويدان خرد » و « الفوز الأصغر » و « تهذيب الأخلاق ».

وقد بحث أفلاطون عن العدل في كتابه الجمهورية[٤] (الباب الرابع)

---

(١) مسكويه والتوحيدي، الهوامل والشوامل ص ٨٥

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٧

(٣) الفارابي – كتاب الجمع بين رأي الحكيمين، أفلاطون الإلهي وأرسطاطاليس في Philosophische Abhandlungen, ed. Fr. Dietrich (Leiden, 1899) pp. I - 34 .

(٤) وأول من نقل الجمهورية لأفلاطون باللغة العربية هو إسحاق بن حنين؛ =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبحث فيه أرسطو في كتابه الأخلاق النيقوماخية [١] (الباب الخامس في أحد عشر فصلًا) ، ويبحث مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق في مسألة العدل [٢] . قال مسكويه في تهذيب الأخلاق ، وفي هذه الرسالة أيضاً : أن العدل هو الخير المحض وهو تفكير أفلاطوني [٣] ويزعم أرسطو أن العدل اعتدال بين حدين ونقل مسكويه هذا القول في التهذيب وفي هذه الرسالة [٤] ، وبحث مسكويه في تفكير فيثاغورث وكتابه ارتماطيقى في كتابه « جاويدان خرد » وفي هذه الرسالة [٥] .

ولا نجد صعوبة في معرفة المصادر التي استقى مسكويه منها في هذه الرسالة ونستطيع أن نقول إن مصادرها هي مصادر ثلاثة كتب من مؤلفاته أيضاً وهي : « الفوز الأصغر » و « جاويدان خرد » و « تهذيب الأخلاق»

= انظر ابن النديم كتاب الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ص ٣٤٣ ويوجد الباب الثاني من كتاب الجمهورية في رسائل اخوان الصفا ، وكانوا من معاصري مسكويه ، انظر رسائل إخوان الصفا طبعة خير الدين الزركلي .

(١) A. J. Arberry, The Nicomachean Ethics, in Arabic in BSOAS (London, 1955) XVII, pp. 1 - 9

(٢) تهذيب الأخلاق ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ، المقـــالة الرابعة ؛ انظر أيضاً ١٨ — ٢٤ و ٨٦ — ١١٢

(٣) الجمهورية ـ مترجم ، حناخباز ، الكتاب الثاني ـ ص ٤٦ ؛ مخطوطة الرسالة ورقة رقم ا ب ؛ أرسطو طاليس ـ الأخلاق النيقوماخية ـ الباب الرابع ١١٥٥-١١٧٧

(٤) أرسطوطاليس المصدر السابق ـ الكتاب الخامس ـ الباب الأول والسادس .

(٥) مخطوطة الرسالة ورقة رقم ٧ ب — جاويدان خرد تصحيح بدوي ص ٢٢٥ — ٢٢٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقريباً ونقول : إن أهم مصادر مؤلفات مسكويه هذه على العموم هي الافلاطونية المحدثة . وقد أخذ من فلسفة أفلاطون وأرسطو وجالينوس وبريسن Bryson والفلاسفة الرواقيين وغيرهم ، وقد أضاف ذلك إلى أفكاره الفلسفية الخاصة . ونهج بحث اليونانيين بالقياس المركب في مقدمتين موجود في مؤلفات مسكويه وفي هذه الرسالة أيضاً . ومن أهم خصائص الكتب الفلسفية لمسكويه أنه يريد التطبيق والجمع بين فلسفة اليونان والإسلام ، وبين التفكير اليوناني والشريعة الإسلامية ، وقد فاز فوزاً عظيماً في هذه الغاية في كتابيه تهذيب الأخلاق والفوز الأصغر بصورة خاصة . ونلاحظ أن البحث الذي يتعلق بالعدل في هذه الرسالة ليس بأدبي ولا فقهي ولكنه فلسفي وطبيعي[١] .

قال التوحيدي : إن مسكويه كان مشغولاً بطلب الكيمياء[٢] . وهذا كلام صحيح فإننا نجد في هذه الرسالة أن مسكويه يقدم علماً عميقاً بهذه الصناعة ويقول : « وطلب هذه النسبة هو الذي أتعب أصحاب الكيمياء وكثروا فيها الكتب ورمزوها وسموا علمها علم الموازين ، وهو لعمري صعب شاق متعب جداً »[٣] . ولا يملك أن يقول مثل هذا القول إلا من جرب واشتغل بالكيمياء فترة طويلة .

٦ ـ أسلوب هذه الرسالة :

وقبل أن نختتم البحث في الدلائل الداخلية لا بد لنا من تحليل أسلوب

---

(١) انظر مخطوطة بودلين ، اكسفورد ـ رقم مارش ٥٣٩ ورقة ١٣٣ ا ب

(٢) كتاب الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ٣٥

(٣) مخطوطة الرسالة ورقة ٦ الف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مسكويه فيها بالمقابلة مع الأسلوب الذي استعمله في كتبه الأخرى .

لا يختلف أسلوب مسكويه في هذه الرسالة عن أسلوبه الذي ألفناه في كتبه الفلسفية . إن عباراته سهلة لتوضيح المعاني ، ولا يستعمل النثر المسجوع إلا قليلاً . وقد بحث في أن لفظ العدل مشتق من العدالة من حيث اللفظ الفلسفي ، وأنه ضد الجور والظلم . وكلمات العرض والجوهر ، والكيفية والكمية ، والطبيعي ، والحس ، والنفس ، والعدم والوجود ، والكثرة والهيولي والأجرام السفلية والأجرام العلوية كلها استعملت في هذه الرسالة وغيرها من كتبه كمثل للاصطلاحات الفلسفية . وثلاثة من مؤلفات مسكويه كتبت أيضاً بالأسلوب الفلسفي هي : « الفوز الأصغر » و « جاويدان خرد » و « تهذيب الأخلاق » وعبارات هذه الكتب سلسة من غير سجع تشير إلى المعنى تصريحاً لاتلميحاً . وليست لغة هذه الرسالة متأثرة باللغة الاصطلاحية التي استعملتها كتب الفقه والكلام في القرن الرابع الهجري . إن مسكويه يستعمل ، على رغمه ، أسلوب الفارابي ذي الجمل المختصرة ولكنه يستنبط النتيجة في خاتمة العبارة كالفارابي .

وقد يسر تأليف الكتب الفلسفية لمسكويه أنه كان يؤلف بعد أن تم نقل أهم مؤلفات الفلسفة اليونانية (١) إلى اللغة العربية .

قلت إنه يستعمل الاصطلاحات الفلسفية العربية مما يدل على أن أسلوب هذه الرسالة لا يختلف عن أسلوب كتبه الفلسفية الأخرى .

---

(١) انظر R. Walzer, « Some Aspects of Miskawaih's Tahdhib al Akhlaq, » in Studi Orientalistici in Onore Giorgio Levi Della Vida, II (Rome, 1956) 603 - 621 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نهج التحقيق :

تثير هذه النسخة بعض القضايا التي تثيرها النصوص الأخرى كلها ، ولما كانت وحيدة في العالم فإنه لا يمكن لنا أن نقابلها بنسخة أخرى ونوضح الاختلاف في حواشينا ، وإنما نقدم نصها بعد تصحيح الأخطاء اللغوية النحوية . وقد فصلنا هذه الرسالة إلى فقرات وأعربنا وأعجمنا قدر الإمكان وما رجحنا كلمة على أخرى إلا بعد استقراء عبارات هذه الرسالة في نصوص أخرى وفي كتبه الفلسفية الأخرى ، فزدنا كلمة وحذفنا كلمة أخرى من نص المؤلف ، وكل ذلك بعد مراعاة السياق وإمعان النظر في معنى العبارات جميعها . وقد صححنا الخطأ في النص وأثبتنا الأخطاء التي صدرت من الكاتب في الحاشية ، وكذلك يستطيع القارىء أن يميز الصواب من الخطأ برأيه .

ومن أجل أن نصل إلى جميع أفكار مسكويه الفلسفية ومعرفتها وإدراك مقدار اهتمامه فيها وتحديد مكانته من الفلسفة الإسلامية لا بد لنا من أن نطبع رسائل مسكويه وكتبه الفلسفية وكتب غيره من فلاسفة الإسلام التي ما زالت مخطوطة إلى يومنا هذا .

كلكته محمد صابر خان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net